كيف ينمو الملكوت

(مرقس ٤:٢١-٣٤)

تأليف: جو شوبيرت

من الطبيعي أننا كلنا نرغب في معرفة الأسرار. عندما يقول صديق، «أريد أن أقول لكم سر،» يشد ذلك كل انتباهنا حالاً. نجد متعة في معرفة شيء لا يعرفه آخرون.

توجد لله بعض الأسرار، و يفشيها أحيانا لشعبه. قد لا ندرك أبداً البعض من أسرار الله، ولكنه إختار بعضها ليظهرها لنا.

ذكرت أسرار الله عدة مرات في العهد الجديد. على سبيل المثال، يخبر بولس الرسول أهل كورنثوس في رسالته الأولى إليهم: «لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون. بل نتكلم بحكمة الله في سر...» (١ كو ٢:٦ و ٧). وفي رسالته إلى أهل كولوسي ١:٢٦ يتحدث بولس الرسول بالمزيد عن هذا السر، حيث يقول: «السر المكتوم منذ الدهور منذ الأجيال، لكنه الآن قد أظهر لقديسيه.» وفي الأصحاح ١٥ من رسالته إلى أهل كورنثوس يشير بولس الرسول إلى سر معين لله عن القيامة:

> وهذا سر أقوله لكم: لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير. فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير (١ كو ١٥:٥١ و ٥٢).

جزء من غرض يسوع بإستخدام الأمثال هو ليوضح لتلاميذه بعض من أسرار الله. عندما أتى التلاميذ إلى يسوع في الأصحاح الرابع من إنجيل مرقس وسألوه لماذا كان يكلمهم بالأمثال، قال لهم: «قد أُعطيَّ لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله. وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء» (آية ١١).

إستخدم يسوع الأمثال لسببين رئيسيين: أولاً، يوضح المثل بعض الحقائق لتلاميذ يسوع. وثانياً، يجعل الحقائق نفسها غامضة للذين هم من خارج الذين يعارضون عمله ورسالته. بعض الحقائق المعينة لم يكن المقصود منها أن يعرفها ويفهمها أعداءيسوع لو عرفوها فأنهم سيكثروا عداوتهم قبل آوانها. وقد تكون النتيجة هي إجهاض المهمة التي أراد يسوع تحقيقها على الأرض.

قال يسوع في إنجيل مرقس ٤:١١، «أكلمكم أنتم الذين تتبعونني بالأمثال لأنه بهذه الأمثال أظهر لكم أسرار ملكوت الله.» هذا يطربني لأن يسوع يقول بالحقيقة: «الذين هم من خارج لا يفهمون هذه الأمثلة ولا أعتزم ان أشرح لهم هذه الأمثلة. وإنما لكم، أنتم تلاميذي الذين من الداخل، ستكشف لكم هذه الأمثلة أسرار ملكوت الله عينها.»

يحتوي الأصحاح الرابع من إنجيل مرقس على ثلاث أمثلة قوية، يكشف كل منها سراً من أسرارملكوت الله. كتب مرقس البشير القليل جداً من أمثلة الرب يسوع بالمقارنة لما كتبه كُتاب الأناجيل الأخرى، ذكر مرقس البشير أربع فقط، ثلاث منها في هذا الأصحاح. ولكن يشير مرقس بان يسوع تكلم بأمثلة كثيرة. قال في ٤:٣٣-٣٤ «وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا. وبدون

مثل لم يكن يكلمهم. وأما على انفراد، فكان يفسر لتلاميذه كل شيء.» لاحظ التشديد على الشرح للذين هم معه. لم يفهمه الذين ليسوا معه. وانما للذين هم معه. أظهر يسوع المعنى.

الأمثلة الثلاث التي أوردها مرقس البشير في هذا الأصحاح هو مثل الزارع، الحبة التي تنمو من ذاتها، وحبة الخردل. يوضح كل من هذه الأمثال سلطان الله في حياة البشر. يأخذنا يسوع إلى ما وراء الكواليس في كل منها ويوضح لنا شيء عن الطريقة التي بها يعمل الله في العالم. وبهذا يكشف لنا بعضا من أسرار ملكوت الله. لا ينبغي علينا أن نخمن عن ماذا تكون هذه الأسرار. يظهر المقصود من كل مثل بوضوح عندما نفهم ما يقوله يسوع. يكلمنا مثل الزارع عن كيف يبدأ ملكوت الله في حياة الإنسان. ويكلمنا مثل الحبة التي تنمو من ذاتها عن النمو المستمر الملكوت في حياة الإنسان. يحكي مثل حبة الخردل عن التأثير العظيم الذي سيكون لملكوت الله في العالم.

١. مشاركة الكلمة (مرقس ٤:٢١-٢٥)

الإنتقال من مثل الزارع إلى الأمثلة الأخرى في هذا الأصحاح بفقرة صغيرة، يذكرنا فيها يسوع بانه يجب على الذين قبلوا الحبة الجيدة في حياتهم ان يعطوها فرصة {للنمو}. قال في إنجيل مرقس ٤:٢١-٢٣ ما يلي:

> هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير؟ أليس ليوضع على المنارة؟ لأنه ليس شيء خفي لا يظهر ولا مكتوماً إلا ليعلن. إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع.

انه يعطي المعتقدات المتزعزعة ونفاذ البصيرة الواضحة المعالم لطبيعة الحياة نفسها في آيتي ٢٤ و ٢٥:

> انظروا ما تسمعون. بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم ويزاد لكم أيها السامعون. لأن من له، سيعطى. وأما من ليس له، فالذي عنده سيؤخذ منه.

هنا قانون النمو الروحي. أولئك الذين يتعلمون أسرار الله جيداً، سينالون الكثير والكثير من المعرفة. وأما المهمل في السماع لا يتوقف عن التعليم فحسب، بل ينصرف إلى نسيان ما تعلمه. والذين تعلموا جيداً ينالون دائما المزيد من المعرفة. ولكن الذين لم يتعلموا جيداً يزدادون ارتباكاً وجهلاً. قد نرى هذه الحقيقة يومي في حياة الذين من حولنا. انه شيء رهيب وخطير ان تستمع باهمال أو بلا مبالاة إلى تعاليم يسوع المسيح. ستكون نهاية هذا الإستماع إرتباك وجهل. وتأتي الدينونة المخيفة على الذي يسمع كلمات ربنا بأهمال.

٢. عمل الله الخفي

بعد أن أنذر يسوع تلاميذه وطلب منهم أن يقدروا بحرص ما يسمعون، قال لهم مثل آخر عن الملكوت، مثل الحبة التي تنمو بخفاء:

> وقال: هكذا ملكوت الله كأن إنساناً يلقي البذار على الأرض؛ وينام ويقوم ليلاً ونهاراً والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف. لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر. أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل. وأما متى أدرك الثمر فللوقت يرسل المنجل، لأن الحصاد قد حضر.

كان يسوع يعني بهذا، «هكذا يعمل سلطان الله في حياة البشر. هكذا يكون نفوذ ملكوت الله في قلوب البشر.» اني أعتبر هذا واحدا من أمثال يسوع المشجعة جداً من بين ما قاله من الأمثال لأنه يتكلم عن كيف يكثر سلطان الله وينمو في حياة البشر. النقطة المهمة في هذا النص موجودة في نهاية الآية ٢٧ ومقدمة الآية ٢٨: «...والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف. لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر؛...» كما رسم يسوع الصورة، تصور مزارع يقوم بنثر بذاره في الأرض المحروثة. انه عمل شاق نثر تلك البذار ولكن ذلك دوره الذي يجب أن يقوم به، وعليه أن يفعله. وبعد أن يكمل عمله يرجع إلى البيت وينام. انه لا يجلس منتصباً طول الليل ينظف أظافر أصابعه، قلقاً ومضطرباً عما

إذا كانت تلك البذور قد سقطت في المكان المناسب وما إذا كانت ستنموا ام لا. انه لا يستيقظ في اليوم التالي ويخرج إلى المزرعة ويحفر واحدة من تلك البذور ويقلعها من الأرض وينظر إليها إذا ما نبتت. وإنما يزرع الحبة ويعلم بان الله يعمل. فان لله جزء في هذه العملية كلها وسيعمل بآمان في الوقت المناسب. بالحراثة الجيدة ينبت القمح وينمو. قال يسوع: «أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل.» متى نضج ذلك القمح فحينئذ يأتي المزارع للعمل مرة أخرى ليحصد المحصول الذي زرعه.

أشار بولس الرسول إلى هذه النقطة عينها في ١ كو ٣:٩ عندما قال، «فإننا نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله، بناء الله.» قد تبدأ العملية كلها بكلمة للتعليم، أو للتشجيع أو للنصيحة. ثم يتبع وقت الحراثة. ووقت الإنتظار بينما يقوم الله بعمله.

كم من الوقت تحتاج للنمو؟ يحدث ذلك على حسب جدول الله للعمل. أحياناً لايتفق توقيته مع توقيتنا. عادة ما نريد أن نفعل الأشياء بسرعة، ونحسب النجاح بالسرعة التي بها تم عمل الشيء. قال يسوع: «أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل.» انها عملية تمكن مراقبتها ولكنها تأخذ وقتاً. انها تعمل في جدول عمل مختلف في حقل ما عن ما تعمله في حقل آخر. في شخص ما عن ما تفعله في شخص آخر. عملنا هو ان نزرع تلك الحبة ونؤمن بان هنالك قوة في تلك الحبة تجعلها تنمو في ذاتها وبذاتها. لونسمح لها بالوقت لتنمو.

يطلب منا الرب ان نصبر. فان الكلمة تنمو بخفاء. قد لا ندري كيف يتم ذلك. قد لا نفهم ذلك. يعلم يسوع حقيقة كبرى بان الله يعملعند الهداية. لا يتوقف علينا. حالما نفعل ما أوكل إلينا ان نفعله، يجب ان نستريح وبالحقيقة التي نعرفها بان الله سيعمل. غرس بولس الرسول في كورنثوس وأبلوس سقى لكن الله كان ينمي (١ كو ٦:٣). هذا واحدا من أسرار ملكوت الله.

٣. البداية الصغيرة (مرقس ٤:٣٠-٣٢)

حكى يسوع مثلا آخر عن الملكوت؛ إذ قال: «أنتم تعلمون عن حبة الخردل، انها أصغر جميع البذور؛ وليس من السهل ان تراها. ولكن إن غرستها وأعتنيت بها، فانها ستنمو وتنمو.» عندما ذكر أشجار الخردل ربما أشار إلى واحدة من أشجار الخردل العملاقة وقال: «أنظر إلى شجرة الخردل تلك! هذا ما ستنمو وتصبح عليه حبة الخردل الصغيرة.» كان يقصد بهذا، «الكيفية التي يعمل بها سلطان الله في حياة البشر.» له بدايات صغيرة؛ قد لايراها أحد. ولكنها تنمو تلك الحبة الصغيرة جداً تصبح شجرة كبيرة يبلغ أرتفاعها عشر أقدام حيث تآوى الطيور إلى أغصانها وينتشر ظلها تحتها. هكذا يعمل سلطان الله في حياة الناس. إنها القوة التي أطلقت في العالم وبدايتها بدايات صغيرة. إنها المرأة التي آمنت بالله وعرفته ولكن زوجها لم يؤمن، انها لا تكرز له أو تجادله صباح كل يوم أحد بعد أن يستيقظوا من نومهم. ولكنها تبدأ بداية صغيرة فقط لطبع حلو وحنون لذلك الزوج أو بإبتسامة رائعة على وجهها. انها بداية صغيرة؛ قد لا تدركها، ولكنها تنمو وتنمو؛ حتى يهتدي أخيراً الزوج ويؤمن.

لنأخذ معلمة الكتاب المقدس كمثال آخر. عندما تتهيء للذهاب إلى الدرس صباح يوم الأحد، تكون قلقة وتفكر: «لماذا أصبحتُ جزء في هذا العمل؟ لا استطيع أن ابدأ بما يجب عليّ ان أفعله في درس الأطفال البالغين ثلاث أعوام، لا بد ان يدرس شخص آخر هذا الفصل.» وبينما تسير نحو باب الفصل وتتمنى من غير أدراك أن يكون نصف الفصل غائباً في ذلك اليوم. ولكن عندما تدخل الفصل وتجد الأطفال كلهم حاضرين بنسبة مئة بالمئة بالإضافة إلى عشرة زوار. وجدت نفسها تدرس ثمان وعشرين طفلاً في السنة الثالثة من العمر. فبدأت بالكلام قائلة لهم: «يسوع يحبني هذا أعرفه.» ثم قالت لهم أيها الأولاد والبنات، سنتحدث اليوم عن محبة الله. «انها بداية صغيرة؛ تلك التي تكاد ان لا ندركها. ربما لا ندركها أبداً حتى بعد بضع سنيين عندما يقف ذلك الولد أو تلك

البنت أمام مجموعة من الناس ويقول أو تقول: » اني أؤمن بان يسوع هو إبن الله الحي. أريد أن أجعله مخلصي وربي؛ أريد ان أعتمد عليه اليوم. قد نمت البداية الصغيرة لحبة الخردل في القلب.

ربما أنت شيخ بكنيسة الرب، وكل ما كنت تسمعه خلال الشهور هو الانتقاد، فأصبت كسير القلب ومهبط العزم. تفكر أن تتنازل وتتخلى. وفي ذات مرة جاءت رسالة وكانت بهذا المضمون: « أشكر الله انك واحد من شيوخ كنيستي. » انه شيء صغير قد لا تدركه، أو لا تفكر بالاهتمام به. ولكن ثقة جديدة قد حلت في قلب ذلك الشيخ وهو يجدد العزيمة ليقود تلك المجموعة من المؤمنين بجدارة نحو عمل فعال للمسيح. انها صغيرة – بداية صغيرة ولكن ما أقواها في النهاية!

هكذا يعمل ملكوت الله. المتناهي في الصغر يصبح متناهي في الكبر؛ يأتي عمل عظيم من شيء غير عظيم. قال يسوع بان من يعطي كوب ماء بارد بإسمه يجد مجداً. كلمة تشجيع إلى الذي هبطت عزيمته قد ينتج عنها ذلك الشخص ويصير مسيحي في النهاية. عندما يجثو الوالدين بجانب أسرة أطفالهما ويصليا معهم ليلياً، ينتج عن ذلك قادة المستقبل لشعب الله. مصافحة بسيطة أو كلمة تشجيع أو زيارة ودية أو موعظة قد تكون بداية صغيرة.

عادة ما نعاني من الوهم بان كل شيء مهم يصحبه دائماً ضجة عالية. هل أنتبهت إلى ذلك عند مشاهدة جهاز التلفاز؟ إن لم تلاحظ ذلك حاول هذا الإسبوع؛ عندما تظهر الدعاية يرتفع الصوت. نحن نجرب إن نؤمن بان الخبر السار والضوضاء متلازمان. على حسب التقديرات البشرية، كل شيء الذي يبدأ بعظمة، لا بد أن يكون مصحوباً بأنوار نيون، والألعاب النارية والأنوار الكشافة الموجهة.

كم يختلف عمل الله! انه يعمل بطرق قد لا تلاحظها. فكر بالطريقة التي اختارها لبداية الملكوت. لم يبدأ في واحدة من الدول الشهيرة والمهمة في تلك الأيام، بل في دولة قليلة الشهرة {آنذاك} تدعى فلسطين. دخل إبن الله في تلك الدولة الصغيرة ودعى لنفسه عدد قليل من صيادي سمك – ذوي أيادي غليظة وخشنة. انه دعى عشار من الشارع تواً، ودعى أناس لم يلمسوا من قبل آخرين لأن رائحتهم كريهة، ودع سامريين. انه دعى المنعزلين والمثبطي العزيمة، والعديمي الرجاء الذين شعروا بانه ليس في حياتهم شيء ثمين أبداً. بدأ ملكوته بأولئك الناس. كانت بداية صغيرة. لو كنت تعيش في روما في ذلك الزمان، لما صدقت بانه قد حدث. ولو كنت في اسبانيا تعمل بين الفيالق الرومانية، لم كنت تعلم أين تقع أورشليم. وفي احد الأيام، نشر خبراً بان الرومان قتلوا انساناً في أورشليم، كان نجاراً، لم تكن له أي شهادة علمية، لم يملك أي من ممتلكات، لم يكن له حساب في المصارف ولم يتزوج أبداً، بل كان فقط معلم يهودي متجول. انها كانت بداية صغيرة لم تلاحظ.

هذا مشابه للكيفية التي بها يعمل ملكوت الله بين البشر اليوم. العملية مستمرة.و لم يتغير سر الحياة في ملكوت الله أبداً. غرست الحبة وهي صغيرة جداً، قد لا يلاحظ، وبدأت تنمو. يبدأ سلطان الله – ملكوت الله شيئاً فشيئاً، درجة بدرجة، يبدأ يملك في قلوب البشر. ومازال يحدث إلى اليوم.

الخلاصة

من الصعب ان تصدق هذه الحقيقة عن الملكوت، ولكني أقول لك بانها حقيقة. انه واحد من أسرار ملكوت الله لم يصدقه الكثير من الناس. انه سلطان الله – ملكوت الله في حياتك. انه يسوع فيك، رجاء المجد. انه يسوع يغفر ذنوبك، انه يسوع يصير صديقاً لك. انه يسوع يحررك من العبودية إلى نفسك. انه عمل الله، ملكوت الله، سلطان الله في حياتك. يبدأ بالتسليم إلى إرادة الله ونمو إلى قوة عظيمة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧